النظرية الانفعالية* في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

د. هشام صالح سليمان*

المستخلص

يتناول البحث عرض مختصر لنشأة النظرية الانفعالية، والسبب الذى دفع بعض الفلاسفة إلى تبنى هذه النظرية، وإلقاء الضوء على النقد الذى تعرض له المذهب الانفعالى وخاصة على يد الفيلسوف الأمريكي "براندت" ، ويحاول البحث تقديم تقييم منصف للنظرية الانفعالية من خلال تناول العناصر الآتية :

1- نشأة المذهب الانفعالى.

2- النظرية الانفعالية بوصفها نتاج للمذهب الحدسى.

3- المعنى الانفعالى.

4- نقد "براندت" للمذهب الانفعالى.

5- تقييم النظرية الانفعالية.

ونصل من خلال استخدام المنهج النقدى إلى أن النظرية الانفعالية كأى نظرية لها نقاط ضعف، ولكن بالرغم من ذلك أم كام لها اسهام كبير في التأكيد على الجانب التأثيرى فيما يتعلق بموضوع القيمة سواء في علم الجمال أو علم الأخلاق، وتسليط الضوء على الوظيفة الانفعالية للكلمات وخاصة في السياق الأخلاقى.

الكلمات المفتاحية :-النظرية الإنفعالية- علم الأخلاق - براندت - علم الجمال.

Emotive Theory in Modern and Contemporary Philosophy

Dr.Hesham Saleh Soliman

Abstract

The research deals with a brief presentation of the emergence of the emotive theory, and the reason that led some philosophers to adopt this theory, and sheds light on the criticism that the emotivism was exposed, especially by the American philosopher "Brandt". The research tries to provide a fair evaluation of the emotive theory by addressing the following elements:

1-The emergence of Emotivism.

---

* Emotivism الانفعالية هو المذهب الذي يقول إنَّ الأحكام الأخلاقية تعبر عن (الانفعال) تجاه القيام بفعل معين وليس الاعتقاد، وأن الفعل صواب أو خطأ يرجع إلى كلمات التشجيع أو التوبيخ ، والانفعالية تشرح جيدا العلاقة الضرورية الظاهرة بين الحكم الأخلاقي والحافز. وقد قامت الانفعالية بعمل سيء في تفسير الدور المهم للحجة العقلية في الممارسة الأخلاقية ، ومع ذلك، وبالتأكيد وحيث تؤدى إلى الأحكام الأخلاقية تتجنب (تتملص) من تقييمها بالحقيقة أو بالزيف ، فأصحاب هذه النظرية يقترحون أن البرهان العقلى حول الأخلاقيات ربما يكون في أفضل حالاته غير مناسب وفى أسواء حالاته مستحيل. ففي النصف الأول من القرن العشرين وتحت تأثير الوضعية المنطقية ظهرت وجهة نظر حول طبيعة الأخلاقيات وهى الانفعالية ، ويعتقد أصحاب المذهب الانفعالى أنه عندما يقول الناس "أن الكذب خطأ" فأنهم يعبرون عن كراهيتهم للكذب ويحاولون أن يجعلوا الآخرين يشاركوهم كراهيتهم للكذب ، وبهذا تختلف الدعاوى الأخلاقية تماما عن الدعاوى التي تعبر عن اعتقادات (تتعلق بالحقيقة والزيف).

Craig, Edward, The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy,Routledge Taylor &Francis Gourp,London and NewYork,2005,p.219

◆ أستاذ الفلسفة الحديثة المساعد- قسم العلوم الاجتماعية- كلية التربية - جامعة الإسكندرية

2 -The emotive theory as a product of Emotivism.

3 -The emotive meaning.

4 -Brandt's critique of Emotivism.

5- Evaluation of the emotive theory.

Through the use of the critical method, we arrive at that the emotive theory, like any theory, has weaknesses, but in spite of that , it has a great contribution to emphasizing the influential side with regard to the topic of value, whether in aesthetics or ethics, and highlighting the emotive function of words, especially in The moral context.

Keywords :- Emotive Theory – Ethics- Richard B Brandt – Aesthetics.

تمهيد

الانفعالية هي نظرية تتعلق بطبيعية الأحكام القيمية ودور اللغة في التأثير على الفرد وتحفيزه لقبول فعل والقيام به ورفض فعل وتجنبه، باستخدام الكلمات وما ننسبه لها من معاني، وظهرت هذه النظرية متأثرة بالمذهب الوضعى المنطقى في القرن العشرين، وسوف نقوم في الصفحات التالية بعرض المذهب بشكل مختصر من خلال بعض ما جاء به مؤيديه، وتقديم بعض النقد الذى تعرض له من أجل الوصول إلى تقييم واضح للدور الذى قام به في الفلسفة الحديثة والمعاصرة. وهذا باستخدام المنهج النقدى، وبواسطة العناصر الأتية:

1- نشأة المذهب الانفعالى.
2- النظرية الانفعالية بوصفها نتاج للمذهب الحدسى.
3- المعنى الانفعالى.
4- نقد "براندت" للمذهب الانفعالى.
5- تقييم النظرية الانفعالية.

نشأة المذهب الانفعالى:

يتساءل "روبينسون" Robinson** ما الذى نعنيه بعبارة " النظرية الانفعالية في الأخلاق "؟ ويجيب بأن المعنى يجب أن يتعلق بنظرية ما تشير إلى أن هناك انفعال مستقل كما وصفة الأستاذ "ستيفنسون" Stevenson*** في "علم الأخلاق واللغة" Ethics and Language والانفعال هنا سيعنى قوة الكلمة في التعبير عن المشاعر وإثارتها وبعبارة أخرى قوتها في التعبير عن التفكير وتوجيهه فيما يتعلق بالموضوع الذى يهتم به المتحدث. فالكلمة يمكن تصف وتسمى موضوع، فهذه وظيفتها الوصفية. والكلمة ربما تثير شعور وهذه هي وظيفتها الانفعالية. والكلمة ربما تثير شعور ببساطة لأنها تحدد(تسمى) موضوع ما وفكرة هذا الموضوع تثير الشعور،

** Richard Robinson (1902: 1996م) فيلسوف انجليزى من مؤلفاته (مقالات في الفلسفة اليونانية) Essays in Greek philosophy عام 1969م.

https://www.independent.co.uk/news/people/obituary-richard-robinson-5612006.html 28/1/2021

*** Charles Leslie Stevenson (1908- 1979م) فيلسوف أمريكى يعرف أحسن ما يعرف بكتابه "الأخلاق واللغة" عام 1944م، الذى يقدم فيه شرحاً مفصلاً للنظرية الانفعالية عن معنى الحدود الأخلاقية. جوناثان رى .وج.أو .أرمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، ترجمة : فؤاد كامل ،جلال العشرى ،عبد الرشيد صادق ، مراجعة واشراف :زكى نجيب محمود،ط1، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، 2013م، ص185.

وهذا يمثل معنى انفعالى غير مستقل. بهذا فأن " النظرية الانفعالية في علم الأخلاق " يجب أن تعنى نظرية ما تشير إلى أن الكلمة ربما تمتلك أيضا معنى انفعالى مستقل. والمعنى الانفعالى المستقل يتمثل في قوة الكلمة على إثارة العاطفة بشكل مستقل ما يتم وصفه أو تسميته. وأفضل طريقة لتوضيح حدوثها هو إيجاد كلمتين يتم استخدامها للإشارة إلى نفس الشيء (تسمية نفس الشئ) ولكن كل من هاتين الكلمتين يثيرا مشاعر مختلفة تجاه هذا الشئ لأنه لو كان هناك وجود لهاتين الكلمتين فإن قوة الواحدة منها على إثارة العاطفة يجب على الأقل أن تكون مستقلة بشكل جزئى عن قوتها لإثارة فكرة هذا الشئ.[1]

وينتهى "روبينسون" إلى أنه إذا كان هناك إمكانية للاعتقاد أن الكلام الأخلاقى لا يمنحنا منفذ لانفعالاتنا أو يثير مواقفنا بالقبول أو الرفض والتي هي ذاتها نتاج ظروف مدركة ومن الممكن اعتقاد هذا بدون توريط أنفسنا في القول بأنه (الكلام الأخلاقى) يقرر حقيقة أو زيف، وربما نؤيد بدلاً من ذلك القول بأن كلماتنا الأخلاقية المنطوقة هي قواعد أو إشارات للسلوك، تقوم على معرفتنا عن كيفية التصرف. وكما تتضمن معرفتنا عن كيفية التصرف ذكاء، والفعل الذكى ليس مجرد أمر يتعلق بالفرصة، وبالتشابه فأن الإرشادات التي ننطقها في هذه المعرفة يمكن الادعاء أنها تتضمن ذكاء، بالرغم من أنه ليس هناك حالة خارجية تثبت هذا الذكاء، ولكن يمكن اختبار هذا الذكاء فقط من خلال العيش وفقاً لهذه القواعد ذاتها.[2]

ويرى "آدمز" Adams أن النظرية الانفعالية حول المصطلحات الأخلاقية لها شكلين متميزين؛ الأول: قدمه "آير" A.J.Ayer (1910: 1989م) . والثانى : قدمه "ستيفنسون". وفى حين أن كل منهما مهتم بالمعنى الانفعالى والقبول والرفض الأخلاقى أو الاستحسان والاستهجان الأخلاقي ، فأننا نجد أن "آير" يعتقد أم معنى المصطلح الأخلاقي يوضح أو يعبر عن استحسان أو استهجان المتحدث، ونجد "ستيفنسون" يقول أن المعنى الأخلاقي المميز للكلمة الأخلاقية متضمن في وضع الكلمة الذى يؤهلها لإثارة الاستحسان أو الاستهجان عند المستمع. ومع ذلك نجد أن هناك تشابه بين الشكلين فأن "آير" يدرك أن التعبير عن استحسان أو استهجان المتحدث يقصد اثارة الاستحسان أو الاستهجان عند المستمع. ويشير "أدمز" إلى أن "ستيفنسون" قدم معنى غير أخلاقى وصفى أو ربما يكون مقترح للمصطلح الأخلاقي. وفى الممارسة إذا تم استخدام الكلمات الأخلاقية بشكل مستمر لتعبير عن استحسان أو استهجان المتحدث وأيضا إذا تم استخدام هذه الكلمات لإثارة استحسان أو استهجان المستمع.

وينتهى "أدمز" إلى توضيح طبيعة موضوع التساؤل الأخلاقى حيث وجد أنها تتعلق بالاستحسان أو القبول الأخلاقي، ومادة هذا الموضوع ربما يتم دراستها بواسطة علماء الاجتماع مع مراعاة نوعية الأشياء المتفق عليها من وجهة نظر الأفراد في مجتمع معين والظروف الاجتماعية المؤثرة. وربما يدرسها عالم النفس ليس كأحداث اجتماعية ولكن كأحداث نفسية (ظروف نفسية). وأيضا يمكن تحليل معنى "الاستحسان الأخلاقى" منطقيا ، وأى تحليل كامل سيكون عليه أن يكشف عن طبيعة نظام القواعد التي تصف الأفعال وفقا له بوصفها صحيحة أو خاطئة والمنهجية المطلوبة للتأكد من صحة الأفعال. بالإضافة إلى معنى المحمولات الأخلاقية الذى يعمل في نظام القواعد يجب أن يتم تحليله. ويصرح "آدمز" أن التحليل الذى قدمه قام بالكشف عن أنه هناك قواعد ومحمولات أخلاقية يتم افتراضها أو تكون متضمنة في الاستحسان أو الاستهجان الأخلاقى. ويرى أن هذا التحليل كاف لتفنيد النظرية الانفعالية عن المحمولات الأخلاقية سواء عند "آير" أو عند "ستيفنسون".[3]

النظرية الانفعالية بوصفها نتاج للمذهب الحدسى:

يرى"وارنك"*Warnock وكثيرون آخرون أنَّ المذهب الانفعالي كان نتاجًا للمذهب الحدسي، لكن الدافع وراء الاتجاه إلى المذهب الانفعالي كنظرية أخلاقية، لم يكن مصدره الفلسفة الأخلاقية ذاتها، فلقد كان افتراضًا يشير إلى أنَّ "القضايا الأخلاقية" تدعم نوعًا معينًا من الحقائق، وهذه الحقائق تقول إنَّ هناك صفات أخلاقية معينة في الواقع تمتلكها كيانات معينة، وإن الأحكام الأخلاقية تؤكد أنَّ تلك الكيانات تملك هذه الصفات، وهذا الافتراض كان محاولة لحل مشكلة طبيعة القضايا الأخلاقية.

وقد حاول الكثير من الفلاسفة حل هذه المشكلة التي واجهت المذهب الانفعالي في بداياته ومنهم "كارنب"، و"آير"، ولكن بالرغم من محاولاتهم القيام بذلك لم تسفر هذه المحاولات عن الكثير، وربما يرجع ذلك إلى أن اهتمامهم الحقيقي لم يكن بفلسفة الأخلاق، وكان من الواضح دائمًا أنهم أغفلوا الكثير جدًا من الأمور التي يجب مناقشتها.(4)

يرى كارنب أنَّ العبارات أو الألفاظ التي لها معنى هي العبارات التي يمكن التحقق من صدقها عن طريق التحقق الفعلي، مثل المنطق والرياضة أو الرجوع إلى التجربة الحسية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة أما ما يخرج عن ذلك فهو أشباه قضايا لا معنى لها، وعلى هذا الأساس أنكر الميتافيزيقا، ومبدأ التحقق(الصدق) Verification يقوم عنده على أن القضايا الوحيدة التي تنطوي على معنى، هي تلك القضايا التي تتحدد قيمة الصدق فيها بالرجوع إلى الحس.(5)

إنَّ موقف "كارنب" في أمريكا يشبه كثيرًا موقف "آير" زعيم الوضعية المنطقية في إنجلترا، فالوضعية المنطقية رفضت كل ما هو سابق على التجربة، ورفضت القضايا الميتافيزيقية (منها فلسفة الأخلاق)؛ لأنها لا تحتمل الصدق أو الكذب، فهما لا ينكران فقط الطابع المطلق للأحكام الأخلاقية، بل لا يقرون بوجود "قضايا أخلاقية"، فهي قضايا غير ذات معنى، ولا يمكن إخضاعها لمبدأ التحقق، وأن الأحكام الأخلاقية هي مجرد تعبيرات عن بعض العواطف أو الانفعالات الذاتية، فالوضعية المنطقية اتجاه فلسفي قصر أتباعه مهمة الفلسفة على تحليل اللغة تحليلاً منطقيًا.

أما عن الاتجاه الذي قدَّمه لنا "ستيفنسون" في كتابه الذي أحدث أثرًا كبيرًا في هذا المجال(علم الأخلاق واللغة) ، بالرغم من أنه كان قريبًا من المحاولات الأولى التي تحدثنا عنها، إلا أنَّه- كما يرى "وارنك"- كان أكثر حرصًا وأكثر إدراكا، وبالتأكيد كان مقدمًا بشكلٍ أكثر وضوحًا، ويقوم هذا الاتجاه على ثلاثة محاور رئيسية وهي:-

المحور الأول: يجب أن نميز بين الاعتقادات والمواقف، على سبيل المثال (مثال غير أخلاقي) اقتراح تخفيض قيمة الصرف للدولار، ودعنا نفترض أن لدينا اثنين من رجال الاقتصاد لديهما نفس الاعتقادات تجاه هذا الاقتراح فهما على اتفاق تام بالنسبة لهذا الاقتراح، وأيضًا بالنسبة لما سوف يترتب في الواقع على قبول أو رفض هذا العرض من عواقب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وما زال من المحتمل أن مواقفهما تجاه الاقتراح ينبغي أن تختلف، في حين اتفاقهما التام حول ما يتضمنه هذا الاقتراح، فربما يؤيده واحد ويعارضه الآخر، سوف يكون من المقبول- بلا شك- أنَّ عدم الاتفاق يتركز أو يرجع إلى عدم الاتفاق في الاعتقاد، عندما يؤيد شخص ما يعارضه شخص آخر، فإن البحث الكامل في الموقف يوضح عادة أنَّ كلا منهما لديه معتقدات تختلف عن الآخر تجاه الاقتراح موضوع التساؤل.

وسوف يكون من المقبول أيضًا، أنَّه غالبًا ما تكون هناك صعوبة في توضيح أن عدم الاتفاق في الموقف لا يتوقف على عدم الاتفاق فى الاعتقاد، ومع ذلك فربما يقال إنَّ التمييز بين

---

* Warnock (1923-1995): فيلسوف قام بالتدريس بجامعة اكسفورد Oxford قبل العمل بجامعة دايت هود Knighthood، ومن أهم أعماله The Object of Morality وغيرها من المؤلفات المهمة.
http://www.nationmaster.com/encyclopedia/Geoffry-Warnock 2/2/2021

عدم الاتفاق في "الموقف" وعدم الاتفاق في "الاعتقاد" يكون واضحًا على المستوى النظري، فعدم الاتفاق في "الموقف" يختلف بوضوح عن عدم الاتفاق في "الاعتقاد".[6]

ربما يكون التمييز صعبًا، ولكنه ربما يكون حادًا- في الحالات الواقعية- بين نوع من عدم الاتفاق ونوع آخر منه، ويمكننا أن نضيف أن كلما أمكن أن يكون هناك اتفاق في "الاعتقاد" وعدم اتفاق في "الموقف"، يمكن بالطبع أن يحدث اتفاق في "الموقف" وعدم اتفاق في "الاعتقاد".

المحور الثاني: هذا الاتجاه يعرض تصورًا لـ"المعنى الانفعالي" "motive Meaning"؛ وذلك لأن اسم المذهب الأخلاقي "Emotivism" ، ويتلخص هذا المحور في أنَّ بعض الكلمات تدل على نفس الشيء، في حين أن بعضها يحمل معنى انفعاليًّا مثل كلمة "يهود"، وكلمة "صهاينة"، فالبرغم من أنَّ كلا منهما يدل على أمة معينة من الناس إلا أنَّ الكلمة (صهاينة) تحمل مشاعر الرفض والكره، بينما الكلمة الأولى (يهود) لا تحمل هذه المشاعر، وربما يضيف هذا المحور أنه في حين أن أي معنى انفعالي للمصطلح سوف يكون معتمدًا بشكل ما (أو متصل بشكل ما) على المعنى الوضعي، ومن المحتمل جدا أنه- لو تغيرت مواقف أو مشاعر مستخدمي هذا المعنى الانفعالي- يبقى المعنى الوصفى ثابتًا إلى حدٍ كبيرٍ، فإنَّ معنى المصطلح الانفعالي ربما يتضاءل أو يختفي أو ربما يتحول إلى العكس.

المحور الثالث: بعد المحورين التمهيديين تكون الأطروحة كاملة بحيث يتضح من خلالها الصفة المميزة للحكم الأخلاقي، ألا وهي عدم التسليم بمعتقدات المتكلم، ولكن إظهار مواقفه، ولا أن يضيف أو يحذف معتقدات الشخص الموجه له الحديث، ولكن التأثير على مواقفه، وبالتالي على سلوكه، حيث إنَّ وظيفة الخطاب الأخلاقي هي التأثير وليس التبليغ، فربما يعدل المعتقدات بشكل عرضي، لكنه يعدل المواقف بشكل أساسي، ومن الممكن أن نقول إنَّ هذه النقطة هي النقطة التي أغفلها الحدسيون في نظريتهم الأخلاقية، فلقد رأوا أن الأخبار الأخلاقية لا يمكن ردها إلى أخبار أخرى وصفية، والسبب في فشلهم في رؤية هذه النقطة هو إدمانهم لتركيبة الصفة الموضوعية المفترضة، مما أدى بهم إلى تقديم حكم أخلاقي ذي نوع غريب من الوصف يتضمن نسبة الصفات الغريبة أو غير الطبيعية أو النادرة للأشياء، وهم بذلك فشلوا في التمييز بين المعتقدات والمواقف، وتحويل المواقف في الواقع إلى أنواع غامضة من المعتقدات، وبذلك يقدمون أحكامًا أخلاقية إخبارية خالصة.

إنَّ أصحاب هذا المذهب يستطيعون فهم الصلة الضرورية بين الخطاب الأخلاقي ومواقفنا وقراراتنا واختياراتنا وبشكل عام سلوكنا، فمعظم الأخبار الأخلاقية- بلا شك تمثل صفات- فعندما- على سبيل المثال- يتم إخبارنا أن شخصًا ما كريم أو أمين، فنحن نتعلم شيئًا وصفيًّا تمامًا عن النوعية (الأخلاقية) التي ينتمي إليها هذا الشخص وما يقوم به؛ لكن الأمر ليس كذلك.

فصاحب المذهب الانفعالي يصر على أن ما يجعل الحكم عليه (هذا الشخص) حكمًا أخلاقيًّا هو أن المصطلح الذي ينطبق عليه يعبر بل يحفز أيضًا على اتخاذ مواقفٍ مفضلة تجاه هذا الشخص، ويظهر مشاعر معينة وينميها تجاه هذا الشخص، وهذا ليس وصفا لصفة أخرى له، ولكنه بالأحرى دافع، أو قوة محركة تدفع الشعور في اتجاه معين، إنه أمر يتعلق بالتأثير.[7]

المعنى الانفعالى

أن المعنى الانفعالى على تناقض مع المعنى الوصفى. فالمصطلحات التى تمتلك معنى وصفى اذا قامت بوظيفة تقرير الوقائع، وتمتلك معنى انفعالى اذا قامت بوظيفة التعبير عن انفعالات المتحدث ومواقفه، أو أثارت الانفعالات والمواقف في الآخرين. فالنظرية الانفعالية هي النظرية التي ترى أن المصطلحات الأخلاقية تمتلك فقط (أو بشكل أساسى) معنى انفعالى . أهم مشكلة بالنسبة لفكرة المعنى الانفعالى هي أن هذا المعنى ربما في الواقع لا يكون نوع من المعنى،

وأصعب عقبة أمام هذه الفكرة يمكن أن تنشأ بطرح التساؤل هل المعنى الانفعالى للمصطلحات الأخلاقية هو مسألة فعل كلام يؤديه شخص ما يستخدم هذه المصطلحات، وإذا كان الأمر كذلك فماذا يكون نوع فعل الكلام؟*

ويوضح "براندت" Brandt** أن هناك اختلافات بين النظريات التي بالكاد تم تصنيفها كنظرية انفعالية، ولكنه سوف يعلق على أطروحاتٍ معينة من الممكن أن يجمع معظم الكتاب بشكل عام على أنها تنتمى إلى النظرية الانفعالية. أولا: عدم الاتفاق الأخلاقى، وهو عدم اتفاق في الموقف وليس عدم اتفاق في الاعتقاد، ويشير إليها بـ" أطروحة عدم الاتفاق في الموقف". وثانيا: أن عدم الاتفاق الأخلاقى ليس بالضرورة يمكن حله بواسطة ملاحظة الوقائع ولكن بالأحرى أن الإجرات التي يتم استخدامها لمساندة التصريحات الأخلاقية، هي الإجراءات التي تحدث تغيير في مواقف الشخص. ثالثا: أن التصريحات الأخلاقية ليست - على الأقل بشكل أساسى- تأكيدات حول المواقف الأخلاقيةٍ ولكنها تعبيرات عنهاٍ. ويطلق عليها أطروحة "التعبير" Expression Thesis. رابعا: أن الكلام الأخلاقى غالباً ما يكون له تأثير موجه على إنفعالات ومواقف الأشخاص الموجه إليهم. ويطلق على هذه أطروحة التأثير الانفعالى.خامسا : يذكر "براندت" أن هناك أطروحة أيدها الأستاذ "ستيفنسون" وآخرين حول آلية هذا التأثير الموجه على المشاعر والمواقف ، وأطلق على هذه النظرية "المعنى الانفعالى الأعمى " أو ببساطة "الانفعال الأعمى " Blind Emotive، ويعتقد "براندت " أن هذه النظرية مستقلة منطقياً عن النظريات الأربعة الأخرى.(8)

ويوضح "براندت" أن الأستاذ "ستيفنسون" قدم حجة واحدة والتي يبدو أنها دليل مستقل على أن عدم الاتفاق الأخلاقي هو عدم اتفاق على الموقف. فهو يؤكد أن المجموعات الاجتماعية تختلف لحدة أكثر حول الأمور الأخلاقية أكثر من اختلافها على الأمور الواقعية وأن هذا سوف يتضح أكثر إذا افترضنا أن الآراء الأخلاقية تتضمن عدم اتفاق على الموقف. ومن الواضح أمٍ ما يعنيه هذا هو أنه إذا قام الفرد بتقديم نظرية حول التغير الاجتماعى فأنه سوف يكون قادرا على تفسير لماذا يحدث خلافات أخلاقية حادة لأن المجموعات الاجتماعية المختلفة، إذا كانت هذه الخلافات تتعلق بالموقف، ولكنه لا يستطيع تفسيرها إذا تم اعتبارها خلافات حول الاعتقاد. وهذه مسألة كبيرة وهناك صعوبات خطيرة في هذه الحجة الأولى: أن هذه الحجة لم توضح ان الخلافات حول الرأي الأخلاقى مميزة أكثر من الخلافات التي من الواضح أنها خلافات في الاعتقاد، مثل الآراء حول علم الدين والميتافيزيقا، وبالتحديد هل هذا صحيح إذا وضعنا في اعتبارنا واقعة أن الأفعال لديها-أو من المعتقد أن لديها - تأثيرات في ثقافة الفرد مختلفة جدا عن التأثيرات التي لديها على ثقافات أخرى. الثانية: أن حجة "ستيفنسون" تفترض أننا في استطاعتنا القيام بتحليل سببى للأراء الأخلاقية يربطها من خلال قوانين بمصادرها إذا افترضنا أنها مواقف وليس إذا أفترضنا أنها اعتقادات، وهذا الافتراض -مع ذلك- صعب جدا في ضوء واقعة أن مبادئ علم النفس التي تحكم تشكيل الاعتقادات تتشابه إلى حد كبير مع تلك المبادئ التي تحكم تشكيل الموقف، فالاعتقادات تتعرض كثيرا إلى الحاجات والضغوط بنفس القدر الذى تتعرض له

---

*Craig, Edward, The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy,p.218

** Richard B. Brand ولد عام 1910م وتوفى عام 1997م وهو فيلسوف أمريكى نفعى قضى معظم حياته العملية بجامعة متشجن، ومن اهم مؤلفاته "النظرية الأخلاقية" عام 1959، و" نظرية الخير والصواب" عام 1979م.

https://www.encyclopedia.com/humanities/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/brandt-r-b-1910-1997

https://www.cambridge.org/core/services/aop-cambridge-core/content/view/S0953820800006300 31/1/2021

المواقف للحاجات والضغوط. ويقرر "براندت" أن الأستاذ "ستيفنسون "على صواي في قوله إن التنوعات تشير إلى أن الآراء الأخلاقية تتضمن بطريقة ما مواقف. ومع ذلك أن الوقائع المتوفرة لدينا- أو من المحتمل أن تكون متوفرة لدينا- هي بالتأكيد بدائية جدا بحيث لا تستطيع تطوير إمكانية تشكيل نظرية أم الخلافات الأخلاقية هي خلافات في الموقف، كنظرية متميزة عن النظرية التي ترى أنها خلافات في الاعتقاد المتعلق بالمواقف.(9)

يشير "ستيفنسون" إلى أننا إذا قمنا بتعريف "الاقناع" Persuasion بوصفه استخدام اللغة بقصد توجيه الناس بدون اللجوء إلى الاعتقاد كوسيط، إذن فأن انكار معنى انفعالى مستقل سوف يكون مساوى لإنكار الإقناع، لكن سيظل هناك قدر من الاقناع في المعنى الانفعالى شبه التابع Quasi-dependent بمصطلحات تستخدم لتوجيه الناس، والمقترحات المدركة المتضمنة يتم قبولها بدون فحص. وبالتحديد سيظل هناك تعريفات قريبة من الاقناع. ويصرح "ستيفنسون" أنه قام بالرد على "براندت" لقوله أن هناك إمكانية وجود معنى انفعالى مستقل بالرغم من أن الإمكانية ذات درجة متوسطة Moderate، ويقرر أم الموضوع يحتاج إلى قدر أكبر من الاهتمام.(10)

ويعتقد "براندت" أنه إذا لم يكن هناك "معنى انفعالى أعمى"، فأن التأثيرات الانفعالية للمصطلح يتم إحداثها بواسطة التغيرات التي يحدثها سماع المصطلح في المجال المدرك. ولكن طبيعة التأثير الانفعالى سوف تعتمد على الميول التي يصدف ان يمتلكها السامع لكى يستجيب لمثل تلك التغيرات في مجاله المدرك. وبالتالى فأن التأثير الانفعالى غير المباشر للإشارة Sign سوف يعتمد على الخبرات السابقة وهكذا.، وهو الأمر الذى يحدد ميل السامع للاستجابة إلى ملامح معينة لمجاله المدرك، لكن العملية التي يمتلك بها السامع ميله للاستجابة العاطفية لتغيرات معينة في مجاله المدرك لم يكون بها علاقة بعملية التكيف المتقنة التي استعانت بالإشارة في التواصل. وبعبارة أخرى فأن تعلم اللغة شيء ما وامتلاك الميل للاستجابة العاطفية للمجال المدرك شيء أخر تماما.

أن تعريف "ستيفنسون" "للمعنى" يربط الكلمة بقدرة الميل للتأثير على الناس ومشتق من عملية تعلم واستخدام اللغة ، لكن في حالة التخلي عن "المعنى الانفعالى الأعمى"، فأن "المعنى الانفعالى" سوف يشير إلى قدرة ميل إلى التأثير على الناس ولكن ولن يشتق بالتأكيد من عملية تعلم واستخدام اللغة. وربما يرد "ستيفنسون" - فيما يرى "براندت"- أنه من المفيد امتلاك مصطلح يوظف قدرة الكلمة على استفزاز استجابات مفضلة (أو غير مفصلة) في معظم الأفراد، بغض النظر عن واقعة أم المصطلح ربما يمتلك تأثيرات مدركة مختلفة عليهم.

ويؤكد "براندت" انه يبدو من الحكمة أم مستخدم كلمة " المعنى" وفقاً لما قدمه "ستيفنسون" وهو الذى يقترب إلى حد ما إلى مفهوم "المعنى" الذى نستخدمه في حديثنا العادى، ويرى أن فيما يتعلق بـ "المعنى الانفعالى" إذا تم التخلي عن "المعنى الانفعالى الأعمى" فأنه سيتضمن انحراف مربك في التعريف، ويعتقد أنه من الأفضل أن يتخلى "ستيفنسون" عن استخدام بعض المصطلحات التي استخدامها في كتابه مثل "المعنى الانفعالى شبه التابع".(11)

فيما نرى أن هذا المذهب يوضح أن الغرض الأساسي لاستعمالنا محمولاً من النوع الأخلاقي ليس قول شيء أو إثبات شيء عن موضوع الحكم الأخلاقي، وإنما التعبير عن موقفنا الذاتي لهذا الموضوع أو التأثير على السامع على نحو يقوده إلى تبني موقف من هذا الموضوع مماثل لموقفنا، فإذا قلت- مثلاً- إنَّ فعل السرقة فعل قبيح، فغرضي الأساسي ليس أن أقول شيئًا أو إثبات شيء عن موضوع الحكم الأخلاقي، وبالتالي فإنَّ غرضي ليس أن أقول شيئًا يمكن أن يصدق أو يكذب، بعديًّا أو قبليًّا، بل هو أن أعبر عن عدم ميلي للموافقة على أفعال من هذا النوع أو عن

استيائي أو نفوري من أفعال من هذا النوع، وأن أحض السامع على اتخاذ موقف مماثل لموقفي من هذا النوع من الأفعال.

نقد برانـدت للمذهب الانفعالى

ويمكننا الاتفاق مع "براندت" فى أنَّ دعاة المذهب الانفعالي قد ينطلقون من المسلمة القائلة إنَّ الوظيفة الأساسية للأحكام الأخلاقية هي التعبير عن القناعات الأخلاقية للمتكلم، من جهة، ومن جهة أخرى، إن القناعات الأخلاقية للمتكلم كائنًا ما كان، ما هي إلا مواقف ذاتية خاصة به، وإذا سلمنا بهاتين القضيتين، فلا مهرب هنا من الاستنتاج بأن الأحكام الأخلاقية ليس لها وظيفة أساسية سوى التعبير عن المواقف الذاتية الخاصة بالمتكلم، وهذه المسلمات لا تبرهن سوى على شق واحد من شقي الأطروحة الأساسية للمذهب الانفعالي.

فهذه الأطروحة تنظر إلى الأحكام الأخلاقية على أنها ذات وظيفة انفعالية، بمعنى أنَّها تعبر، من جهة عن المواقف الذاتية للمتكلم، وتمارس، من جهة ثانية، تأثيرًا على السامع من النوع الذي يفترض فيه أن يحركه في اتجاه تبني مواقف شبيهة بمواقف المتكلم، ولكن الحجة التي نعالجها الآن لا تبرهن، إن برهنت على شيء، سوى على الشق الأول من الأطروحة الذي يتعلق بالوظيفة التعبيرية للأحكام الأخلاقية.

ولكن هل تنجح هذه المسلمات في إثبات هذا الشق من أطروحة المذهب الانفعالي؟ إنَّ المسلمة الأولى قد تكون مقبولة، فما من شك أن الوظيفة الأساسية للأحكام الأخلاقية هي التعبير عن قناعات المتكلم الأخلاقية، ولكن يفترض أن تعكس هذه القناعات الشخصية الأخلاقية، مستلزمات المنظور الذي لا يمكن حسبانه بأي معنى من المعاني منظورًا ذاتيًّا، وإذا شعرنا أنَّ هذه القناعات الأخلاقية تحيد عما نعتقد أن المنظور الأخلاقي يمليه علينا، فإننا سنجد هذا سببًا لنقد هذه القناعات، وهذا ينقلنا إلى التساؤلات الآتية:- لو كانت القناعات الأخلاقية، بحكم طبيعتها، مجرد مواقف ذاتية للمتكلم، لما كان ثمة معنى للحكم عليها، على أساس ما يمليه علينا أو يستلزمه منا المنظور الأخلاقي، بما هو منظور ذاتي .

وفي نظر دعاة هذا المذهب الانفعالي، يوجد هناك وقائع معينة ترتبط بالممارسة الأخلاقية، وتحدد ماهية هذه الممارسة، ولا يمكن تفسيرها إلا عن طريق التوحيد بين القناعات الأخلاقية والاتجاهات أو المواقف الذاتية لأصحابها، من هذه الوقائع عدم اتفاق الرأي حول المسائل الأخلاقية، وواقعة أن قناعة الشخص بأن عليه القيام بفعل معين تشكل، على العموم، ميلا لديه للقيام بهذا الفعل، وواقعة أن الهدف من الجدل الأخلاقي هو تغيير المواقف والاتجاهات، وواقعة أن هدف التداول حول المسائل الأخلاقية هو وضع حد للتعارض بين المواقف والاتجاهات المتباينة أو المتعارضة .

أما عن الواقعة الأولى: "عدم اتفاق الرأي حول المسائل الأخلاقية"، فعند تناولنا لهذه الواقعة نواجه صعوبتين، الصعوبة الأولى تظهر بوضوح عندما نكتشف أنه إذا كان ثمة سبب للنظر إلى الخلافات الفلسفية على المستوى غير الميتا لغوي على أنها مجرد تصادم في المواقف الذاتية، لا يمكن أن يكون سوى أن هذه الخلافات تستمر حتى بعد اتفاق طرفي الخلاف حول كل الشئون الواقعية بما في ذلك ما يتصل منها بالوقائع الميتا لغوية، فإن الخلاف الفلسفي قد يستمر لاختلاف طرفي الخلاف حول الطريقة الأفضل لفهم وتأويل الوقائع المتفق عليها، وإذا لم تكن الخلافات الأخيرة مجرد تصادم في المواقف الذاتية، على الرغم من أنها تستمر، حتى بعد اتفاق طرفي الخلاف حول الشئون الواقعية، إذن لماذا لا ينطبق الشيء نفسه على الخلافات الفلسفية الأخرى؟

والصعوبة الثانية تكمن في أننا إذا سلمنا بأن بعض الخلافات الأخلاقية تنطوي على خلافات فلسفية على المستوى الميتا أخلاقي أو الميتا لغوي، وأن الأخيرة ليست مجرد تصادم في المواقف الذاتية، إذن فإن هذا يجب أن يقودنا إلى عدم النظر إلى الخلافات الأخلاقية على أنها بطبيعتها تصادم في المواقف الذاتية، فإن تسليمنا بالأمر السابق يحتم علينا منطقيًّا أن نقول إنه

يمكن، من حيث المبدأ، حل بعض الخلافات الأخلاقية عن طريق اللجوء إلى اعتبارات فلسفية، وأن الخلافات المعنية ليست، بالتالي، مجرد حالات لتصادم المواقف الذاتية، ولكن دعاة النظرية لا يمكنهم أن يسلموا بإمكان حل بعض الخلافات الأخلاقية إلا على أنها- بحكم طبيعتها- مجرد حالات لتصادم المواقف الذاتية، إذن فإن دعاة هذا المذهب لا يمكنهم أن يسلموا بإمكان حل بعض الخلافات الأخلاقية، فلسفيًا، إلا إذا توقفوا عن النظر إلى القناعات الأخلاقية على أنها، بطبيعتها، مجرد مواقف ذاتية، ولكن هذا، لاشك، يعني التخلي عن النظرية الانفعالية بصورة واضحة.[12]

من الواضح، إذن، أنه إذا كان اللجوء إلى الاعتبارات الأخلاقية لحل خلاف ما هو المعيار لكونه خلافًا أخلاقيًا، وإذا كان اللجوء إلى الاعتبارات الأخلاقية قد يعني اللجوء إلى اعتبارات فلسفية أو شبه فلسفية تتصل بمسائل ميتا لغوية، على الأقل، إذن فإن اعتبار الخلاف خلافًا من النوع الأخلاقي لا يعني، بالضرورة، أنه ينطوي على خلافات فلسفية.

لا يمكن لمن يتبنى المذهب الانفعالي أن يرد على حجتنا السابقة على أساس أن الاعتبارات التي يلجأ إليها طرفي الخلاف، على المستوى الأخلاقي، هي ذات أهميةٍ سيكولوجية، وليست منطقية، أيًا كانت هذه الاعتبارات، بمعنى آخر، لا يمكنه أن يقول إنَّ فريقًا قد لجأ إلى اعتبارات فلسفية أو شبه فلسفية، فإن هذه لا تكون ذات أهمية إلا إذا كانت من النوع الذي يمكنه أن يؤثر سيكولوجيا على الفريق الآخر، ولأن هذا تمامًا ما يحتاج إلى برهان من قبل دعاة النظرية الانفعالية، إذن: فإن هناك خلافات أخلاقية يمكن حلها، وليس فقط وضع حد لها، عن طريق اللجوء إلى اعتبارات أخلاقية تقودنا أحيانًا إلى اعتبارات فلسفية، وهذا يضع أطروحة الانفعالي موضع تساؤل، وهكذا فإذا نفى أن تكون الخلافات التي استعملناها في أمثلتنا خلافات أخلاقية، فإنه يصادر على المطلوب، إذا كان نفيه لا يتجاوز الافتراض بأن الخلافات الأخلاقية هي التي لا يكون فيها للاعتبارات التي يلجأ إليها طرفا الخلاف سوى أهمية سيكولوجية، فإن افتراضات كهذه هو ما يحاول البرهنة عليه، ولا يمكنه، إذن، اللجوء إليه للرد على الشكوك التي نثيرها حوله، وهو لا يزال في صدد محاولة البرهنة عليه.

وننتقل الآن إلى الواقعة الثانية التي يعتقد دعاة النظرية الانفعالية أنه لا يمكن تفسيرها إلا بواسطة نظريتهم، وتتمثل في القول بوجود علاقة وثيقة بين قناعات الشخص الأخلاقية ومواقفه الذاتية تصل إلى حد التوحيد بينهما، فلا جدال أن هناك علاقة وثيقة بين القناعات الأخلاقية للشخص وبين مواقفه الشخصية، ولكن لا تصل هذه العلاقة إلى درجة التوحيد بينهما، فقد يكون التفسير للعلاقة الوثيقة، التي نعترف بوجودها مع مؤيدي النظرية الانفعالية، هو أن الناس على العموم، تربوا على النظر إلى الاعتبارات الأخلاقية على أنها تفوق كل الاعتبارات الأخرى أهمية، وفي هذه الحالة سيكون إيلاؤهم هذه الاعتبارات هذه الدرجة من الأهمية حلقة الوصل الأساسية بين اعتقاداتهم الأخلاقية وسلوكهم.[13]

إنَّ هذا التفسير لا يتعارض مع وجود أشخاص لا توجد بين قناعاتهم الأخلاقية وسلوكهم حلقة وصل قوية كالتي نشير إليها، فلا تشكل قناعاتهم التزامًا من قبلهم بقيم معينة، وبالتالي دوافع مهمة لسلوكهم، قد نجد أشخاصً ، مثلاً، يولون الاعتبارات غير الأخلاقية أهمية تفوق ما يولونه للاعتبارات الأخلاقية، ولكن هذا وحده لن يمنعهم من أن يدركوا فى بعض الحالات أن القيام بفعل معين هو فعل تفرض القيام به الاعتبارات الأخلاقية، دون أن يكون لديهم حافز قوي للقيام به،(ودون أن يشعروا بتأنيب الضمير فيما لو نأوا عن القيام به، أن الإمكان المنطقي لوجود حالات كهذه يكفي للبرهنة على أنه لا تناقض منطقيًا في افتراضنا وجود قناعة لدى شخص بأن الاعتبارات الأخلاقية تفرض قيامه بفعل من نوع معين وعدم وجود حافز قوي لديه للقيام بهذا الفعل.

والواقعة الثالثة التي يعتقد مؤيدو النظرية الانفعالية أن نظريتهم هي الطريقة الأفضل لتفسيرها، هي واقعة أن اللجوء إلى حجج أخلاقية يستهدف بصورة واضحة، حسب

ادعائهم، تغيير المواقف الذاتية، فعندما نختلف مع شخص حول قضية أخلاقية، فإن دخولنا في جدل معه يستهدف التأثير على سلوكه أو ميوله أو مشاعره، إن الحجج الأخلاقية ذات طابع عملي، وليس نظري، إنَّ نجاح أو عدم نجاح حجة أخلاقية ما أمر لا يتوقف على ما تحققه أو لا تحققه هذه الحجة على مستوى نظري مجرد، فمعيار النجاح هو معيار سيكولوجي، لا معيار منطقي أو نظري.

ومن الأمور المترتبة على ما يدعيه مؤيدو النظرية الانفعالية هنا أن اللجوء إلى وقائع معينة في سياق انخراطنا في جدل حول مسألة أخلاقية هو اللجوء إلى وقائع معينة من النوع الذي نعتقد أن لفت انتباه خصمنا له قد يؤثر على مواقفه الذاتية.

إذا صح أنَّ الهدف الأساسي للحجج الأخلاقية هو تغيير المواقف الذاتية، إذن: فإن النظرية الانفعالية على صواب في إصرارها على أن القناعات الأخلاقية ما هي إلا مواقف ذاتية، ولكن يجب أن نميز هنا بين ما يعتقد الشخص أنه ملزم بفعله وبين ما يرغب أو يريد فعله أو يقرر فعله، فعندما يقوم شخص بفعل ما كان من واجبه ألا يقوم به، فإننا غالبًا ما نقول إنه خضع للإغراء، وأن نقدم حججًا هنا هو أن نلجأ إلى ما نعتقد أنه يكفي لإقناع الفريق الثاني بأن ما يجب القيام به، يكون من منظور أخلاقي، وهكذا يتضح أن نجاح ما نقدمه من حجج في هذه الحالة يعني نجاح هذه الحجج في إقناع الفريق الثاني بأن الاعتبارات الأخلاقية تلزم بالقيام بعكس ما يعتقده.

والواقعة الرابعة والأخيرة التي يفترض مؤيدو النظرية الانفعالية وجودها ولا يجدون لها تفسيرًا أفضل من نظريتهم هي أن الهدف من التفكير الأخلاقي هو حل التعارض في الميول المتنازعة، فعندما نواجه إشكالا أخلاقيًا، فإنَّ ما نواجه به في حقيقة الأمر ما هو إلا وضع تتنازع فيه عدة ميول متعارضة، وأن نحل هذا الإشكال، إذن، هو، في رأي دعاة الموقف الذي نعالجه، أن نستقر على ميل منها، قد يواجه طبيب، مثلا، إشكالا أخلاقيًا في حالة عدم تأكده مما عليه أن يفعله بمريضه الميؤوس من شفائه من مرضه العضال الذي لم تعد تنفع معه المهدئات والمسكنات للتخفيف من أوجاعه التي لا تطاق، هل قتل الرحمة هو الجواب؟ هنا تتنازع هذا الطبيب عدة نوازع تشده في اتجاهات متعارضه، أن ينخرط هذا الطبيب في تفكير أخلاقي في هذه الحالة لحل المشكلة المعنية هو أن يستهدف، في نظر دعاة الموقف الانفعالي، ليس حل مشكلة نظرية أو شبه نظرية، فليس واضحًا له كيف يشعر تجاه المسائل المطروحة وهذا ما يشكل المصدر الرئيسي للمشكلة التي يواجهها؛ ولذلك ففي فحصه للأمور والوقائع التي لها علاقة بها وتأمله مليًا في البدائل المطروحة والنتائج المترتبة عليها، فإنما يستهدف الوصول إلى وضع يستطيع فيه أن يستقر على موقف، فلا تعود تتنازعه مواقف متعارضة، إنه يحاول أن يكتشف ما الذي يوافق عليه فعلاً أو ما هو الفعل الذي يميل إلى فعله أكثر.(14)

إنَّ ردنا على الحجة الأخيرة هو أن الطبيب- في مثالنا السابق- قد يكون هدفه، ليس معرفة ما يوافق عليه فعلا، ليس الاستقرار على موقف أو ميل معين، بل معرفة ما الذي يجب أن يوافق عليه، بمعنى آخر، إذا كان السؤال المطروح هو: ما الذي يجب فعله في حالة المريض الميؤوس منه؟ فإن ما نستهدفه، ليس معرفة ما الذي نريده أو نوافق عليه فعلا، بل هو واجبنا الأخلاقي، وبالتالي ما الذي تستوجبه الاعتبارات الأخلاقية في هذه الحالة؟ إنه لأمر واضح هنا أن السؤال: ما الذي يجب أن نفعله في حالة المريض الميؤوس منه؟ يمكن تحويله، للطبيب في مثالنا السابق، إلى السؤال: بغض النظر عن كيفية شعوري بخصوص قتل الرحمة، هل قتل الرحمة هو ما تفرضه الاعتبارات الأخلاقية في هذه الحالة؟ إنَّ تحويله إلى السؤال الأخير أمر تفرضه- في الواقع- نظرتنا إلى السؤال الأصلي على أنه سؤال أخلاقي في الصميم، أي سؤال الغرض منه معرفة ما هو واجبنا الأخلاقي في الوضع المعطى.

ومن الواضح هنا أننا إذا حولنا السؤال الأصلي- على النحو الذي اقترحناه- فإنه لا يفقد أي شيء من معناه، بل إن الصيغة الثانية التي وضعناه فيها تبرز معناه الأساسي، بما هو سؤال

أخلاقي، أفضل من الصيغة الأصلية، وإذا صح تحليلنا، إذن: فإن حالة مثل حالة الطبيب في مثالنا لا يمكن النظر إليها على أنها فقط حالة من لا يعرف موقفه الحقيقي من المسألة أو المسائل المطروحة، أي حالة من لا يعرف ما هو شعوره الحقيقي أو ما الذي يوافق عليه فعلا، بل هي حالة من لا يعرف تمامًا ما الذي تستوجبه الاعتبارات الأخلاقية بخصوص المسائل المطروحة. وهنا من الممكن القول إنَّ هذا الغرض لا يكون بأي طريقة مميز للخطاب الأخلاقي، قد يكون كذلك لو كانت عبارات علم الأخلاق- كما يقول ستفينسون- "أدوات اجتماعية" للتحكم وتحديد وتعديل "المواقف"، لكن ليست عبارات علم الأخلاق وحدها التي تفعل ذلك، فالإعلانات الملصقة والتلفاز والإعلانات التليفزيونية، والخطب السياسية، والتهديدات، والأعمال الأدبية، والرشاوى، وغيرها من الأدوات الاجتماعية.

ولكن السؤال الآن: هل للخطاب الأخلاقي هذا الغرض حقيقةً؟ ليس هناك صعوبة في أن نرى أن الإجابة هي: ليست بالضرورة ودائمًا، ولو عزمت على "إحداث تأثير" عن طريق الترويج للأخلاق، فبالتالي أنا أفترض أن المستمعين ليس لديهم بالفعل "الموقف" الذي يسعى ترويجي للأخلاق أن يرتقي به، وأيضًا أن أتمنى أن يكون لدى المستمعين لي هذا الموقف، وأنا اعتقد أن ترويجي الأخلاقي هذا سوف يساعد على تنمية الشعور بتبني هذا الموقف، وربما يكون فقط كل هدفي أن أجعل موقفي معروف بالنسبة لشخص ما، وربما يكون رد فعله على موقفي هو أن يكون مختلفا تمامًا معه، أو ربما لا يهتم بموقفي على الإطلاق، والخطاب الأخلاقي ليس به كل هذه القوى المحركة، فالكثير مما يمكننا أن نطلق عليه محادثات أخلاقية يؤول في النهاية إلى الاعتقاد المريح (المضمون) بأن كل مؤيديه يجتمعون- ربما بشكل ضعيف- على موقف واحد.(15) بالرغم من أن الأحكام الأخلاقية ربما لا يبالي بها بعض الأشخاص أو أنها تفتقد القدرة على التأثير، وربما تعد بشكل ما بلا هدف، وربما تتضمن أهدافا أخرى غير عادية، وبهذا يكون الغرض المزعوم ذو القوة المحركة للخطاب الأخلاقي ليس فقط لا يميز الخطاب الأخلاقي، ولكنه قد يكون غائبًا تمامًا، ولكن هذا لا ينقص من أخلاقية الخطاب الأخلاقي.

تقييم النظرية الانفعالية:

ويذكر "توماس"Tomas* أن أشكال كثيرة تم تقديمها تحت اسم النظرية الانفعالية، لكم كتاب "علم الأخلاق واللغة " الذى قدمه "ستيفنسون" هو العمل الوحيد – من وجهة نظره- الذى حاول أن يقدم نظرية انفعالية بشكل منظم ومفصل. ويوضح أنه بالنسبة لـ "ستيفنسون" فأن الأحكام الأخلاقية هي أدوات للثواب والعقاب، من أجل استحسان أو استهجان حدوث نوعية الأفعال التي يتم الحكم عليها، وسوف يتحقق الهدف منها فقط إذا كانت الأفعال خاضعة لسيطرة الفرد. ويكون الفرد نفسه سريع التأثر للتغير بواسطتها (الأفعال). وإذا كانت الأفعال لا يمكن تجنبها، أو إذا كان الأفراد محصنين ضد النقد فأن الأحكام ستكون عديمة الجدوى. مجرد أحكام جزائية. أن "ستيفنسون" يدرك أن وجهة نظره تتشابه مع النظرية الإصلاحية Corrective Theory** للعقاب، أن النظرية الإصلاحية قد أوضحت منذ وقت طويل أن العقوبة

---

* Vincent Tomas فيلسوف أمريكى (1916؛1995م)
https://www.oxfordreference.com/view/10.1093/oi/authority.20110803104845248 2/2/2021

** Corrective Theory ترتبط في الفلسفة بـ"العدالة الإصلاحية" Corrective Justice التي ترتبط عند أرسطو بتصويب الظلم الذى يمارسه شخص على شخص أخر ،وعند أصحاب النظريات الحديثة أصبحت متعلقة بالقانون الجنائى.

بالنسبة للأفعال التي يمكن تجنبها سوف تفشل في تحقيق الهدف منها. وكل ما تم التغاضي عنه هو أن الأحكام الأخلاقية بالإضافة إلى كونها شبه ملزمة لديها وظيفة إصلاحية ووقائية. وأصحاب النظريات لم يروا هذا بسب تركيزهم المبالغ فيه على النواحى الإدراكية للغة.(16)

ولكننا نجد أن أصحاب المذهب الانفعالي قد وقعوا في الخطأ بشكل أكبر عندما تحدثوا عن الطريقة التي ينتج بها "التأثير" في الخطاب الأخلاقي، من المعتقد أنه يتم تفسيرها وفقا "للمعنى الانفعالي"، وقالوا إنه لأن للكلمات الأخلاقية "معنى انفعالي" فبإمكان هذه الكلمات أن تلعب دورًا مزدوجًا: الحث على تبني موقف المتكلم، وإنتاج التأثير في موقف المستمع، فهذه الكلمات تعبر عن مشاعري، وتهدف إلى إحداث نفس المشاعر فيك، ولكن من الصعب أن نرى أن هذا كله خطأ.

ما الذي يكَون كلمات انفعالية؟ ولماذا يلام أو يكافئ المتحدث أو الكاتب لتوظيفه اللغة الانفعالية؟ فالكلمات الانفعالية تنطبق على المشاعر والعواطف، فقد يكون هذا أحيانًا شيئًا جيدً- على سبيل المثال- داخل أنواع ما من العمل الأدبي، وقد يكون هدفًا مناسبًا لكي نسعى إليه لكي نحرك مشاعر القراء أوالجمهور، لكن بالطبع يكون- في الغالب- هدفًا غير مرغوب فيه.

والآن، من الواضح بشكل كافٍ أن بعض المصطلحات الأخلاقية- بهذا المعنى- تصبح بشكل ما انفعالية، من المحتمل جدًا أن تتحرك المشاعر تجاه مصطلح مثل "البطولة" وتتحرك المشاعر تجاه معنى مضاد مثل "الدناءة "، لكن نبض المشاعر لا يسرع تجاه كلمة "صواب" ولا يتحرك شيء معين في مواجهة كلمة "خير".

والحقيقة أننا نتفق في الرأي مع "وارنك" في أن التعبير عن المشاعر أمر عرضي ونادر جدًا في الخطاب الأخلاقي، كما يكون إحداث التأثير أمرًا عرضيًا، وفي الغالب غائبًا تمامًا خلال عملية صنع الأحكام الأخلاقية، فعبارة مثل: "سوف يكون من المروع أن تفعل هذا" تعبر عن مشاعري وتحاول التأثير على مشاعرك، وعبارة "سوف يكون من الخطأ أن تفعل هذا" ليس من المحتمل أن تقوم بأي من هذين الفعلين (التعبير عن مشاعري والتأثير على مشاعرك)، فهي تعبر عن رأي وليس حالة من (الهياج العاطفي)، فهى تمنحك- ربما- نصيحتي بأن لا تقوم بفعل ما، وليس دافعًا لتحول عاطفي يبعدك عن القيام بهذا الفعل، وباختصار لا يوجد هناك شيء انفعالي بالضرورة بالنسبة للنقد الأخلاقي أو الاستحسان الأخلاقي، فالنصيحة الأخلاقية قد تقدم من خلال مصطلحات غير عاطفية بشكل كامل، وفي المقابل- بالطبع- ربما يكون جزء من الخطاب الأخلاقي انفعاليًا جدًا، ولكن لا يمت للأخلاقيات بصلة، وربما تسير مشاعر الفرد في اتجاه مضاد تمامًا لوجهات نظره الأخلاقية.(17)

من السهل أن نقدر، وفي ضوء هذه الانتقادات، لماذا تبدو تطبيقات المذهب الانفعالي عُرضى للرفض والهجوم، فنحن نرى أن الملمح المميز للاتجاه الانفعالي كان يتمثل في أنه ذهب بعيدًا عن المحتوى الإخباري للخطاب الأخلاقي، إلى تحديد جوهر الخطاب الأخلاقي الذي يتمثل في تأثيراته، وباختصار لو افترضنا أن المعيار الذي يقام من خلاله هذا الخطاب الأخلاقي يجب أن يكون ببساطة معيار التأثير، ولو كان هدف جزء ما من الخطاب هو- قل مثلاً- التأثير بشكل قوي في موقفك، والتأثير على مشاعرك، فإن هذا الجزء من الخطاب خير (جيد) لو نجح. أو سوف يتم اعتباره ناجحًا في فعل هذا، ويكون شر (سيئ)، ومعرض للنقد لو ثبت عدم تأثيره، أو يمكن توقع عدم تأثيره، ومنطقيًا يمكن أن نميز بين جدل صحيح، وجدل ينتج عنه قناعة ما، ومن الممكن أن نقول- إذًا- إنه دليل- بالرغم من أنه مقنع- يحتوي على زيف (خطأ) أو أنه كان دليلاً صحيحًا، لكن لا يوجد من يقتنع به، فوجهة النظر الانفعالية لا تترك مساحة لتمييز مشابه في علم الأخلاق.

Craig ,Edward, The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy,Routledge Taylor &Francis Gourp,London and NewYork,2005, P.486.

هناك تمييز بين الحقيقة والزيف، الدليل الجيد أو السيئ، بين التحيز البحت والاعتقاد الراسخ، أي الاعتقاد القائم على أسباب جيدة، لكن بالنسبة للناحية الأخلاقية المميزة للمواقف قد لا يوجد مثل هذه التمييزات، فما يطلق عليه الجدل الأخلاقي ربما يحدث تأثيراً أو يفشل في القيام بهذا، لكن لا يوجد هناك مساحة لاعتباره جدلا جيداً أو جدلاً سيئًا، وبهذه الطريقة يظهر الخطاب الأخلاقي بشكل أساسي في نفس القارب مع الدعاية والإعلان أو حتى التخويف، فكانٍ هدفه التأثير على الناس، والتأثير في مشاعرهم وسلوكهم، وتم تقييمه ليس بشكل عقلاني وفقا لأسباب جيدة أو أسباب سيئة، لكن على أنه مؤثر أو غير مؤثر وفقا لما حققه أو لم يحققه من النتائج التي كان يهدف إليها، وكان هناك الكثير ممن استطاعوا أن يقبلوا هذا الاستنتاج المفزع، ولكن هناك شعور قوي بأن خطأ ما قد حدث.(18)

هل أخطأ المذهب الانفعالي؟

الأطروحة الأساسية للمذهب هي أن من الضروري للخطاب الأخلاقي أن تتجدد ملامحه وفقا للغرض منه، أو كما يقول ستيفنسون "الفائدة الكبرى" Major use" من أحكام علم الأخلاق" ليس أن تشير إلى وقائع ولكن أن تحدث تأثيراً"، فهدف المتكلم المميز في أي خطاب أخلاقي هو أن يؤثر ليس في معتقدات مستمعيه ولكن في مواقفهم.(19)

ما الخطأ الذي حدث؟ يعتقد " وارنك" أن هناك خطأين:-

الخطأ الأول: أن أصحاب المذهب الانفعالي كانوا مبهورين بفكرتهم التي تدور حول إظهار هدف أو وظيفة الخطأ الأخلاقي، ومحاولتهم إثبات وجهة نظرهم عن الأحكام الأخلاقية على أنها واضحة، ومن الممكن التفرقة بواسطتها بين الخطأ والصواب، كما يمكن التفرقة بين الحقيقة والزيف، صنعت غموض حول علاقة هذه الأحكام بالسلوك، ومع ذلك فإنهم أثاروا بشكل جاد السؤال حول ماهية الخطاب الأخلاقي الحقيقية، فقولهم إنَّ الخطاب الأخلاقي غالبًا ما يوجه إلى التأثير على المواقف شيء جيد، بلا شك، لكن كان يجب عليهم أن يراعوا أكثر- وبشكل أكثر حرصًا- كيف يتم ذلك.

الخطأ الثاني: أنه بالرغم من أن أصحاب المذهب الانفعالي اهتموا بالطريقة التي يؤثر بها الخطاب الأخلاقي على المواقف، فإن مذهبهم كان غير كاف أو بالتأكيد خاطئ جداً، فالمشكلة ظهرت هنا- كجزء كبير- من فجاجة فكرتهم حول "المواقف"، لقد كان لديهم ميلاً دائمًا إلى التعرف على المواقف بصحبة المشاعر، فمثلا أن تعرف عدم موافقتي على سلوك شخص ما، عن طريق التقزز أو الثورة التي أشعر بهما عند مشاهدته، لكن فكرتهم هذه لم تكن خطأ فقط، ولكنها كانت خطأ فظيعًا، حيث إن نتيجتها هي أن يتم التعرف على التعبير عن عدم موافقتي على سلوك شخص عن طريق ظاهرة مختلفة بشكل كبير تعرف باسم "giving vent " أو إعطاء منفذ لمشاعري تجاه هذا السلوك، وربما يكون هذا من هذا هو تغيير موقف شخص آخر، كمحاولة للتأثير على مشاعره، حيث إنَّ الخطأ الجسيم يتمثل في افتراض معنى انفعالي للكلمات الأخلاقية، والذي يتحقق عن طريق إعطاء منفذ لمشاعري (التنفيس عن مشاعري) ومحاولة التأثير على مشاعرك، ولا يمكن القول هنا إنني أستخدم لغة انفعالية، ونستنتج في النهاية أنَّ الخطاب الأخلاقي غير عقلاني، وليس موضوعًا للجدل، ولكنه موضوع للضغط النفسي، وليس بالعقل والإدراك ولكن بالتلاعب العاطفي، ويقول "وارنك" إنَّ المذاهب التي سبقت المذهب الانفعالي تركت الكثير من الثغرات، بل وكشفت الحجاب عن المزيد منها، ولكن ما قدمته كان أفضل بكثير من الارتباك الذي قدمه المذهب الانفعالي لسد هذه الثغرات.(20)

ويرى " آشر مور" Asher Moore* أن الواقعة المثيرة للاهتمام حول ما يطلق عليه "النظرية الانفعالية" فيما يتعلق بالعبارات الأخلاقية هي شدة الانفعالات التي أثارتها، وأنه بالنسبة لبعض الفلاسفة -حتى بالنسبة لـ "ستيفنسون"- تمر هذه النظرية بثلاث مراحل: الأولى يتم مهاجمتها ونقدها على أنها مجرد عبث، والثانية: يتم الاعتراف بأنها صحيحة والاعتقاد أنها واضحة؛ ثالثا وأخيرا :يتم رؤيتها بوصفها مهمة لدرجة أن معارضيها يدعون أنهم أنفسهم اكتشفوها، ويتبنى "آشر مور" موقف قريب من المرحلة الثانية تجاه النظرية الانفعالية.(21)

ويعتقد "سافيرى" Savery** أن هناك أسباب كافية لرفض النظرية الانفعالية عندما تتعلق بالقيمة سواء في علم الاخلاق أو في علم الجمال، ويقترح ان النظرية النسبية أكثر ملائمة، ويشير مع ذلك إلى أن هناك علاقة قريبة جدا بين النظرية الانفعالية والنظرية الذاتية. ويلاحظ أن مشكلة الخيرية ومشكلة الجمال يمكن تناولها بشكل كافى من خلال المذهب النسبى. ويقرر امه إذا أصر التحليلين المنطقيين والوضعيين المناطقة على النظرية الانفعالية للقيمة فمن الأفضل من أجل الاتساق أن يقبلوا النظرية الانفعالية بالنسبة للحقيقة، فالحقيقة في النهاية مفهوم معيارى. وعواقب قبول النظرية الانفعالية بالنسبة للحقيقة . أو النظرية النسبية فيما يتعلق بموضوع الحقيقة ليس أمرا خطيرا على الأطلاق فنحن نعيش في عصر العلم وسوف نستمر في تحديد المعرفة وفقا لمنهج العلم وسوف نستمر في تعريف الحقيقة بوصفها إمكانية التحقق. ولكن على كل حال ومن الروح الرياضية أن ندرك تحيزنا بغض النظر عن شدة تفضيلنا الخاص. وإذا كان من الواضح أن الأخلاقيات لا يمكن التعبير عنه - في الواقع- إذن فأنه من الواضح ان الحقيقة لا يمكن التعبير عنها (في الواقع).(22)

وتستنتج "سشوستر" Schuster* أن الانفعاليين لم يقدموا اتجاه مناسب للحياة الأخلاقية خلال فلسفاتهم التجريبية. وهذا يرجع لتبنيهم الضمنى للمفهوم الكانطى للإلزام الأخلاقى، والمفهوم الذى يجعل الأخلاقيات معتمدة بشكل كامل على المعايير أو قوانين أخلاقية من نوع ما، فقد اكتشف أصحاب الانفعالى أن مثل هذه القواعد او القوانين لا يمكن التأكد منها بشكل تجريبى وهذا ما جعلهم يتسرعون في استنتاج أن مفهوم الإلزام الأخلاقي خرافة، وان أي تجربة يصحبها شعور بالالزام أو الواجب هو أثر شاذ لتقليد ثقافى مؤسف. ويبدو أن فشل أصحاب المذهب الانفعالى - من وجهة نظر "سشوستر" يؤدى إلى اقتراح انه إذا كان هناك أخلاقيات تجريبية يجب أن تدرك الإلزام الأخلاقي بأسلوب غير كانطى متشدد، وليس بأسلوب يراعى بشكل حصرى القانون والاستمرارية والكلية، ولكنه محدد بحرص وفقا لنوعية التجربة التي تتطلب الإلزام، والتأكيد والتبرير يشير إلى علاقة بالواقع الموجود أو المادى. وليس لها علاقة بالأفعال الأخلاقية والتي تبتكر علاقات إنسانية جديدة وتبتكر طبائع إنسانية جديدة وفقا لشروط تلك العلاقات. وبالتالى فأن أي تعريف لمصطلح "علم الأخلاق" المحمل بشكل إنفعالى سوف يكون مقبول.(23)

ونحن نعتقد أنَّ المذهب الانفعالي بالرغم من الأخطاء التي وقع فيها إلا أن أهم ما قدمه هو التركيز على الوظيفة التأثيرية للخطاب الأخلاقي، وهي وظيفة تمثل جانب مهم جدا من

---

* Asher Moore فيلسوف أمريكى ولد عام 1919م وتوفى عام 1995م.
https://prabook.com/web/asher.moore/589293 2/2/2021

** Savery, Barnett هو أستاذ الفلسفة بجامعة British Columbia بالولايات المتحدة الأمريكية.
https://www.pdcnet.org/apapa/content/apapa_2013_0023_0024_310?file_type=pdf
3/2/2021

* Cynthia Schuster هي أستاذ الفلسفة بجامعة مونتانا Montana بالولايات المتحدة الأمريكية.
https://scholarworks.umt.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=25914&context=news releases 3/2/2021

الخطاب الأخلاقى وإذا تم تأديتها بشكل جيد سوف تمكن الخطاب الأخلاقي من تحقيق الهدف منه.

وتوضح "ليشيتنبرج" [**] Lichtenberg أن علم الأخلاق - مملكة المعايير- يجب أن يراعى ماهى طبيعة الناس وماهو مستحيل أو يصعب عليهم القيام به، فعلم الأخلاق الذى يكون موضوعه الكائنات البشرية يجب تناولهم كما هم أو بوصفهم لديهم فرصة ما لكى يصبحوا. وهذه العبارة الأخيرة (لديهم فرصة لكى يصبحوا) تعقد كل شيء، لأن الطبيعة الإنسانية ليست في معظم النواحى ثابتة وحتى إذا كانت ثابتة فمظاهرها وتعبيراتها يعتمد على البيئة والثقافة، والتي يسيطر عليها الكائنات الإنسانية بشكل كامل، فأن "ماينبغى أن يكون" يشير إلى ما يمكننا القيام به " نستطيع" ولكن "نستطيع" طيعة مرنة(مصطلح يستوعب الكثير) وتفهم ما إذا كام يمكننا أو متى يمكننا وكيف يمكننا دفع هذه الإمكانيات إلى الأمام هي مهمة تستحق التأمل.[24]

النتائج:

1- أن للكلمة قوة في التعبير عن المشاعر وأثارتها.
2- يمكننا الاتفاق مع "روبنسون" في أنه الكلمات في السياق الأخلاقي من المحتمل أن تقوم بوظيفتها دون الإشارة إلى حقيقة أو زيف.
3- أن اعتماد "ادمز" على التحليل المنطقى للمحمولات الأخلاقية لايمثل حجة قوية في تفنيد النظرية الانفعالية.
4- ليس هناك شك في أن المذهب الانفعالي أصبح أكثر ثابتاً ووضوحاً نتيجة ما قدمه "ستيفنسون".
5- يواجه المعنى الانفعالى مشكلة تحديد نوع فعل الكلام المستخدم في التأثير على السامع.
6- يرتبط مفهوم الإقناع بالمعنى الانفعالى عند "ستيفنسون".
7- تواجه النظرية الانفعالية مشاكل متعددة عند تطبيقها وخاصة في مجال الأخلاق التطبيقية.
8- ترتبط النظرية الانفعالية إلى حد كبير بالمذهب الذاتي، حيث أن هدفها الأساسى هي التعبير عن المواقف الذاتية والتأثير عليها.
9- الخطاب الأخلاقي لا يقتصر دوره على الترويج لمبادئ أخلاقية معينة.
10- أهم ما قدمه المذهب الانفعالى هو التركيز على الوظيفة التأثيرية للخطاب الأخلاقى.

[**] Judith Lichtenberg هي أستاذ الفلسفة بجامعة "جورج تاون"Georgetown بالولايات المتحدة الأمريكية.

https://georgetown.academia.edu/JudithLichtenberg 3/2/2021

هوامش البحث

(1) Robinson,Richard, H.J Paton and R.C Cross,The Emotive Theory of Ethics , Proceedings of The Aristotelian Society, Supplementary Volume, Vol.22,Logical Positivisms and Ethics,Wiley on behalf of The Aristotlian Society,1948,p.79.

(2) Ibid,p.140.

(3) Adams,E.M,A Critique of The Emotive Theory of Ethical Terms, The Journal of Philosophy,Vol.46,No.17(Aug),Journal of Philosophy,1949, pp.549,553&A.J Ayer,Language,Truth and Logic,Dover,New York, 1936,Ch.6& Stevenson ,C. L. Ethics and Language ,New Haven: Yale University Press ,1944,p.19

(4) Warnock. G.J.,MA,Contemporary Moral Philosophy,Macmillan and co LTD,London,1969,p.17

(5) سامية عبد الرحمن، الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد، ب ن، 2000م، ص54.

(6) Warnock. G.J.,MA,Contemporary Moral Philosophy,p.18.

(7) Ibid,pp.18:19.

[8] Brandt,Richard B,The Emotive Theory of Ethics,The Philosophical Review, Vol.59, No.3(Jul), Duke University Press on behalf of Philosophical Review,1950, p.503.

[9] Ibid,pp.317:318.& Stevenson ,C. L. Ethics and Language ,New Haven: Yale University Press ,1944,p.18.

[10] Stevenson ,C. L,Brandt's Questions about Emotive Ethics,The Philosophical Review,Vol.59,No.4(Oct),Duk University press on behalf of philosophical Review,1950,pp.533:534.

[11] Brandt,Richard B,Stevenson's Defense of the Emotive Theory, The Philosophical Review,Vol.59,No.4(Oct.), Duk University press on behalf of philosophical Review,1950,pp.539:540.

[12] Brandt,Richard B, Ethical Theory , Englewood cliff,N.J.Prentice Hall,Inc ,1959,pp.217:218

[13] Ibid,pp.219:220

[14] Op.Cit,p.220.

[15] Warnock. G.J.,MA,Contemporary Moral Philosophy,p.20.

[16] Tomas,Vincent,Ethical Disagreemens and The Emotive Theory of Values,Mind,Vol.60,No.238,(Apr.),Oxford University press on behalf of The Mind Association,1951,p.205.

[17] Warnock. G.J.,MA,Contemporary Moral Philosophy,p.21.

[18] Ibid,pp.233:235

[19] Freeman. Stephen J.,Ethics An introduction to philosophy and practice, Wadsworth,2000, p.44-47.

[20] Warnock. G.J.,MA,Contemporary Moral Philosophy,p.36.

[21] Moor,Asher,The Emotive Theory and Rational Method in Moral Controversy,Mind,Vol.60,No.238.(Apr),Oxford university press on behalf of The Mind Association,1951,p.233

[22] Savery, Barnett,The Rmotive Theory of Truth, Mind,Vol.64,No.256 (Oct.),Oxford University Press on behalf of Mind Association, 1955, pp.513,521.

[23] Schuster,Cynthia A., C.l Lewies and Emotive Theory of Value,or, Should Empirical Ethics declare Bankruptcy?,the Journal of Philosophy,Vol.54,No.7,(Mar),Journal of Philosophy,1957,pp.180,181.

[24] Lichtenberg,Judith,Ought and Cans: Badness,Wrongness, and The Limits of Ethical Theory, Philosophical Topics,Vol.38,No.1,Ethics (Spring),University of Arkanasas press,2010,p.139.